



# حديث لا ينتهي

لدينا نحن المسلمين—وعند من الله غير وعده لليهود الذي سقط لعدم امتثالهم للأوامر الإلهية إى بلآء أشد من هذا الذي تعانیه أمتنا من بني إسرائيل ومن يقف وراءهم منذ بدأت حرب فلسطين الأولى وكانت حرباً مدعومة من الغرب مادياً ومعنوياً بصورة لا تقبل الشك على الرغم من هذا الظلام الدامس المخيم علينا جراء العدوان والغباء الذي تثيره هذه الحرب الغاشمة نتيجة للهجوم الإسرائيلي على أهلنا في فلسطين وقد اتسعت آثاره حتى شملت سورية ولبنان فإن لنا وعداً هو أصق من الوعد الذي يتمسك به المعتدي مرتت بمجموعة من محلات بيع الكتب في الكويت ورايت فيها كتباً تسيء إلى ديننا وتاريخنا ويؤثر ما فيها على حاضرنا وعلى مستقبلنا دون أن يشعر أصحاب هذه المكتبات بعظم الخطأ الذي يقومون به تبيين الباحث والمقارن بين أحداث التاريخ أن كل ما ورد في هذه الكتب وأمثالها منذ كتاب ولغفنون الذي صدر في سنة 1927 وكتاب مونتغمري المطبوع في سنة 1936 إنما قصد به دعم اليهود في دعواهم ثم في حربهم الغاشمة ضد الأمة الإسلامية والعربية. تؤكد البيولوجيا ونبئت التاريخ أن يهود اليوم هم كالتاسم جميعاً نتاج اختلاط وامتزاج شعوب متعددة ولا يمكنهم إبداء المطالبة بإرث أسلاف وهميين واستبعاد السكان



بقلم: د. يعقوب يوسف الفخيم

الحاليين من عرب مسلمين وتصارى مع أنهم سكان تلك الأرض وأقرب لسكانها القدامى من المهاجرين البولنديين أو الروس أو الرومانيين أو الهنغار. يتذكر شبارون طاغية من طغاة اليهود القدماء وهو حيي بن أخطب الذي كان يعيش في المدينة المنورة عندما هاجر رسول الله ﷺ إليها وكان حيي من أشد الناس حذراً وحسداً وعداوة للرسول الكريم. ولكن شارون –المضارن له في دينه– يقول: «فدوتي في الحياة هو حيي بن أخطب. الذي كنت أحلم بأن أكون كما كان في دهائه ونشاطه وتفكيره» لفظ الجاهلية لا يتيح لنا القول بأن العرب كانوا في حياة كليها ظلام دامس فقد كنا نرى بينهم العقلاء والحكماء والشعراء وذوي الرأي والأبصار ونرى لهم اتصالهم بالعلم من حولهم عن طريق رحلاتهم وخاصة رحلات التجارة صيفاً وشتاءً.

إننا نستطيع إلى تصريحات زعمانهم منذ أوائلهم إلى هؤلاء الذين هم قادة الكيان اليهودي حالياً فنكاد نستمتع إلى رؤساء عصابات إجرامية لا ينظرون إلا الأمور نظرة إنسانية ولا يبالون بالحقوق وبينهم حاضرهم ومستقبلهم على الكذب الذي صاغه لهم بروفنسال ومن لآء لفه.

العلم بالقراءة والكتابة والحساب، ولذلك بين لهم عدة الشهر الكريم على الطريقة التي كانت سائدة في ذلك الوقت وهي العد على الأصابع، وفق طرق متفق عليها بينهم.

ولسناً – هنا – حاجة إلى تكرار ما سبق ذكره عن معرفة أعداد من العرب – وبخاصة أهل مكة – بالقراءة والكتابة وما يتصل بهما من معارف أخرى كاطب والفلك والحكمة والشعر، وغير ذلك، ولكننا نريد أن نؤكد ما ذكرناه عن الفرق بين الجاهلية والأمية من حيث دلالة هذين اللفظين، وهذا نجدّه في النقاط التالية:

ذكر محمد بن مكرم لفظ (الجهل) في كتابه الشهير: «لسان العرب» فقال عنه: إن الجهل هو نقيض العلم، وذكر أن الله سبحانه وتعالى يعني بقوله الكريم: (للفقره الذين أخصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تتفقوا من خير فإن الله به عليهم شديد) (سورة البقرة، الآية رقم 273) إنما أراد الجهل الذي هو ضد الخبر، وقال صاحب الكتاب: «يقال فلان جهيل لأنك إذا لم يكن يعرفه».

وأضاف قائلاً عن الجاهلية: إنها زمن الفترة التي سبقت ظهور الإسلام، وقال: «ذلك لأن الحال التي كان عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسله وشرايع الطرق أن يخدعوا الناس بما تتضمنه كتبهم، ولكنهم لا يستطيعوا خداع أحد: لأن ما يراه القراء فيها لا يقل عن نوع من الترهات أو هذيان المحموم.

3- يقولون مثلاً: إن التوراة نزلت في جزيرة العرب، وأن في عباراتها دلائل على أجواء الصحراء العربية وهذا هو ما رددنا عليه في موضعه، ونضيف إليه أن الصفات التي ذكروها للصحراء والحداء الذي يصاحب الإبل المسائرة فوق رمالها، ليس ذلك كله مرتبطاً – فقط – بالصحراء في الجزيرة العربية وحدها، ففي الأقاليم العربية الأخرى صحراوات كانت تعبرها الجمال تماماً كما يجري في الجزيرة العربية، والصفات التي ذكرت لا تنطبق على صحراء الجزيرة العربية دون غيرها.

4- ويتحدثون عن الجثة فيقولون إنها موجودة على الأرض، وأن الناس يستطيع أن تراها – بل وتلدّها – في أي وقت شاءت. واختاروا قرية صغيرة تسمى الجنتية في مكان ناء فقالوا: هذه هي الجثة المصودة في الكتب السماوية.

5- في الوقت الذي نجد فيه بروفنسال ينحي باللائمة على العرب، وبخاصة منهم من كان من المؤرخين ورواة الشعر زعماً منه أنهم جميعاً أهملوا ما أنجزه اليهود، فإننا نجد من بنى جلدهم بخالفه الرأي ويشهد لهم بشهادة في صالحهم فهذا يهودي اسمه ابلي لفي أبو عسل يقول في كتاب صدر له في سنة 1961م جملةً ذكرها بعد مقدمة قصيرة: «لذلك قلما كان يجد اليهود عطفاً شرفياً يضارع ذلك العربي عليهم».

البلدان الأخرى على العكس من ذلك يرى أن اليهود في ذلك قول ضمويل اتنجر وهو أستاذ في التاريخ بالجامعة العبرية: «كان وضع يهود الشرق أفضل بكثير من وضع يهود أوروبا الذين اضطهدوا لأسباب سياسية واقتصادية ودينية».

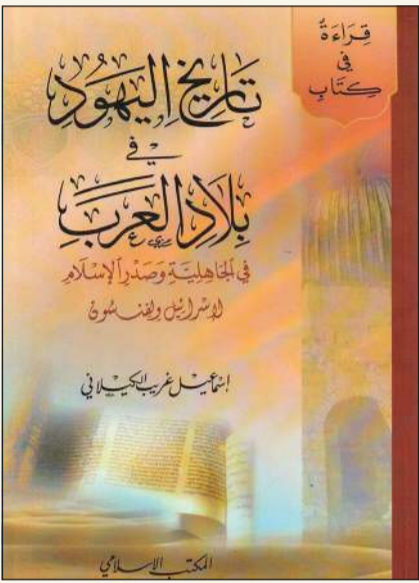
ولا بأس في تقديم هذا البيان قبل أن نصل إلى ختام مقالنا هذا فنقول: لم يذكر ولغفنون لفظ (الجاهلية) باعتباره دليلاً على ما ذكره عن العرب من نقص في المعرفة، وما قاله كان عن أن اليهود الذين سكنوا في بعض الأماكن العربية من الذين علموا أبناء الأمة العربية القراءة والكتابة، ولكننا – مع ذلك – ينبغي أن نذكر ذلك حتى نلغظ الأبواب أمام أي معاد للعرب أو للمسلمين فيدعي أمرًا بخلق الحقيقة.

من المعلوم أن النبي ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وهذا أمر حجة له لا عليه؛ لأن القرآن الكريم الذي أنزل قرئاً يمتحوا حينما استمع أهلها إلى بعض سور منه لا يمكن أن يكون صادراً من رجل أمي. وهذا ما جعلهم في حيرة من أمرهم، وقد ذكرنا في هذا الشأن ما قاله أحد كبار قريش لقومه حين استمع إلى آيات من القرآن الكريم تلاها عليه رسول الله ﷺ، فأنهملته، وعاد إلى قومه لكي يصف لهم ما سمع فقال: «سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط»، وقد مرنا بحكايته في بدايات الكتاب الذي أشرنا إليه، وكان هذا الرجل هو عتبة بن ربيعة وقد بقي على كفة، بما يكفي أكثر قومه على ما هم عليه من عناد ومقاومة لما جاء في الكتاب الكريم. ومن أجل ذلك جرى نعتهم بالجاهلين، لأنهم لم يعلموا مقدار ما جاء لهم به الوحي السماوي من الخبر الفضل، ولم يصنعوا للحق جهلاً منهم لأهمية انصياعهم لما قاله الله ورسوله، ولذلك وصفوا بالجهل كما وصف زمانهم بأنه زمان الجاهلية، ليس ذلك لجهلهم القراءة والكتابة فقد بينا – فيما مضى – أنه كان منهم من يقرأ ويكتب ويعلم جميع ما تميم به الأمم من جميع الوجوه.

وسنرى أن لفظ (الجاهلية) هذا يختلف عن لفظ (الأمية)، فالجاهلية هي صفة الحالة التي كان عليها ذلك الجيل من قريش الذين كانوا في مكة عند مبعث رسول الله ﷺ، وصارت علماً على العصر السابق للنبوة.

أما الأمية فالمقصود بها عدم القدرة على القراءة والكتابة، ولقد قال الرسول الكريم لصحابته وهو يشرح لهم بعض ما يتعلق بشهر رمضان: «إننا أمية، لا نقرأ ولا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا».

يقول الراوي وهو عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «بقيت ثمانية وتسعة وعشرين، ومرة ثلاثين» في هذا الحديث الشريف تحديد للمعنى الأمية، وهي عدم القدرة على القراءة والكتابة والحساب. وهو ﷺ لا يقوله بما قاله أن الأمة كلها أمية لأنه يعلم أن جيله عدداً لا بأس به من يتقنون ذلك، بل ويجيدون لغات أخرى غير العربية كما بينا ذلك فيما سلف، ولكنه ﷺ يعني الأخرية التي دخلت في دين الإسلام قبل أن تنال قسطاً من



غلاف كتاب «تاريخ اليهود في بلاد العرب وصدر الإسلام»

على ما ورد في التوراة، في إصباح الخلق: «لذريتك أعطي هذا البلد من نهر مصر إلى النهر الكبير». (إصباح 15:8)، وقد رسم «هرزل» في كتابه حدود إسرائيل، في الشمال: جبال طوروس، في الجنوب: قناة السويس، وفي الشرق: نهر الفرات.

ويفسر الصابنية هذا القول على أنه حقيقة تاريخية وصك ملكية لتلك الأراضي، وكان ذرية إبراهيم ﷺ هم المحددون بصلبة الرحم وليس بالإيمان، وكان صلة الرحم لا تنصب على العرب، منهم قام جاء في سفر التكوين، ذرية إسماعيل ﷺ الابن الأكبر لإبراهيم ﷺ.

ويفسر أيضاً باعتبار صحة اتصال نسب اليهود الحاليين بسكان أرض كنعان القديمة، بينما تؤكد البيولوجيا، ويثبت التاريخ أن يهود اليوم، هم كالتناسم جميعاً، نتاج اختلاط وامتزاج شعوب متعددة ولا يمكنهم أبداً المطالبة بإرث أسلاف وهميين، واستبعاد السكان الحاليين من عرب مسلمين وضاربي مع أنهم سكان تلك الأرض، وأقرب لسكانها القدامى من المهاجرين البولنديين أو الروس أو الرومانيين أو الهنغار».

4- ثم تحدث عن الاتجاه إلى التوسع لدى الدولة اليهودية مستقلاً بذلك على أقوال زعمائها، فقد نقل عن كل من بن غوريون، وموشى دايان ما صدر عنهما في هذا الشأن فنقل عن مذكرات بن غوريون قوله: «ليست المسألة مسألة احتفاظ بالوضع الراهن، فعلياً إن نقيم دولة غير متجمدة، دولة ديناميكية تتجه إلى التوسع».

ونقل عن دايان قوله: «إننا كنا نملك التوراة، وإننا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فيجب أن نكون لنا أيضاً أرض التوراة».

ومن الواضح أن حديثنا سوف يكون طويلاً جداً إذا أردنا أن نتتبع كل ما ورد في هذا الكتاب الذي أجاد مؤلفه به سرد تفصيلات كثيرة حول موضوع الطماع اليهودية والأكاذيب التي تسوقها مجموعات منهم حتى جاء كتابه وثيقة مهمة تقدر استطاع التي استولت على ألباب هذه الفئة حتى جعلتهم ينسون أنهم من البشر، وظنوا أنهم فوق الجميع مكانة، ومن الملاحظ أنه استنتج كثيراً من المعلومات المتعلقة بالرّد على بروفنسال اعتماداً على مراجع موثوقة، فأيّد كل ما قاله في كتابه بشهادات جاءت تحت عنوان: «شهادات علماء ورؤساء غير مسلمين».

وإضافة إلى ذلك فإن مما لفت النظر في هذا الكتاب أنه احتوى نقلاً من أقوال زعماء صهيونيين محدثين، منهم من تولى المسؤولية في الكيان الصهيوني القائم حالياً على أرض فلسطين، وعلى سبيل المثال فقد نقل ما يلي: عن شارون الذي كان من زعماء إسرائيل البارزين على دولي فيها عدة مناصب مهمة كان آخرها رئاسة مجلس الوزراء في سنة 2002م، وهو مجرم حرب سلب أذاه على الشعب الفلسطيني، واحتل جنوب لبنان إلى بيروت.

يتذكر شارون طاغية من طغاة اليهود القديمة وهو حيي بن أخطب الذي كان يعيش في المدينة المنورة عندما هاجر رسول الله ﷺ إليها، وكان حيي من أشد الناس حذوا وحسداً وعداوة للرسول الكريم. ولكن شارون –المشارك له في دينه– يقول: «قدوتي في الحياة هو حيي بن أخطب، الذي كنت أحلم في أن أكون كما كان في دهائه، ونشاطه، وتفكيره».

هكذا قال وربما أنه كان يريد أن يقول لأمة الإسلاميه إنه امتداد لأولئك الذين حاولوا إطفاء نور الله على جل والقضاه على الدعوة الإسلامية، فكانته يحذر، ويعلم – في الوقت نفسه – أن ذلك العداء القديم لا يزال قائماً في نفوسهم هو وقومه. ونقل غير هذا عن كتاب «العرب» الذي ألفه توماس كيرتان قوله: «الصهيونيون أوروبيون تماماً، وليس هناك أي رابطة بيولوجية أو اثروبولوجية بين يهود أوروبا والقبائل العربية القديمة، أي: ليست هناك أية قرابة عضوية أو قرابة دم بين الصهيونيين الذين هم من أهل أوروبا وبين قداماء العبريين».

وبعد هذا يمضي الأستاذ الكيلاني في سرد موضوعات كتابه مطوقاً بكل القضايا التي اقتضاه بحثه الذي كان خاصاً بالرّد على افتراءات إسرائيل ولغفنون؛ لأنه رأى أن الأمر يقتضي منه التوسع، وقد أجاد – جزاءه الله خيراً – في كل ما فعله وقدمه. وهنا يلاحظ المتقن لهذا المقال عدم إشارته إلى ادعاءات ولغفنون، وإيضاح ذلك فإن ما يمكن أن يقال في هذا الشأن قد ورد في كتابنا الذي سبقت الإشارة إليه، ففيه بيان ما ينبغي العلم به من ترهات ولغفنون وادعاءاته المخالفة للحقائق التاريخية والعقلية معاً، ولكنني أريد أن أضيف بعض ما تنبغي إضافته، تأكيداً لما سبق، ومن أجل ذلك فإنني أقدم ما يلي:

1- هذه ملاحظات جانبية، ولكن ذكرها له ما يبرره، لأن استكمال ما مضى من الحديث هنا يلزمنا بأن نشير إليها، وهذا هو بيانها.

بالتحديد! إن الحديث الذي سبقتناوله هذا المقال حديث لا ينتهي. وهذا لأن الأحداث تأتي مترافقة يوماً بعد يوم، ولكل يوم حديث جديد.

إن حديث الساعة في أيامنا هذه هو الذي استمر شاغلاً للذاهن منذ أوائل القرن الماضي، ولا تزيد الأيام إلا استمراراً يعقب مرارة سوف تبقى في قلوبنا إلى أن يكشف الله البلاد بإذنه عز وجل. وأي بلاد أشد من هذا الذي تعانیه أمتنا من بني إسرائيل ومن يقف وراءهم منذ بدأت حرب فلسطين الأولى، وكانت حرباً مدعومة من الغرب مادياً ومعنوياً بصورة لا تقبل الشك.

ومع ذلك، فإنه مما ينبغي أن يذكر هنا هو أنه على الرغم من هذا الظلام الدامس المخيم علينا جراء العدوان، والغباء الذي تثيره هذه الحرب الغاشمة نتيجة للهجوم الإسرائيلي على أهلنا في فلسطين، وقد اتسعت آثاره حتى شملت سورية ولبنان، فإن لنا وعداً هو أصق من الوعد الذي يتمسك به المعتدي، فقد أخرجنا الله عز وجل في سورة الإسراء حين ذكر بني إسرائيل في عدة آيات أولها قوله سبحانه وتعالى: (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً) (4) فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً (5) ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً (6) إن أحسنتم أحسنتم لأنتفصم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوعوا ووحدهم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليجبروا ما علوا تتبيرا (7).

فقرى الآية الكريمة رقم (7) التي تدل على آخرتها بعد أن استبد بهم الكفر وانتكاب المعاصي. أما الوعد الذي يتمسكون به فقد كان وعداً مشروطاً لم يف تأبؤهم بشرطه فسقط. وهناك دلائل كثيرة تدل على ذلك أوردها الأستاذ إسماعيل غريب الكيلاني في كتابه الذي تضمن كثيراً من الأمور التي ينبغي أن يطلع عليها أبناء العرب والمسلمين جميعاً لا تضم من حقائق دامغة ضد أعدائنا الذين هم أعداء الإنسانية أيضاً، وقد صدر هذا الكتاب رداً على كتاب ألفه إسرائيل ولغفنون في سنة 1927م.

ووجودهم سريعاً لسوء أعمالهم كما ورد في كتاب «شمس الإسلام تشرق»، ولو كان أمرهم كما قد وصفهم هؤلاء الكتاب لما كان من السهل إجلاؤهم. هذا، وقد تبيين بالبحث والمقارنة بين أحداث التاريخ أن كل ما ورد في هذه الكتب وأمثالها منذ كتاب ولغفنون الذي صدر في سنة 1927م، وكتاب مونتغمري المطبوع في سنة 1936م، إنما قصد به دعم اليهود في دعواهم، ثم في حربهم الغاشمة ضد الأمة الإسلامية والعربية بدليل أن الفترة التي صدر فيها هذان الكتابان، وأمثالهما، مما لم تنتم ترجمته، كانت هي الفترة التي اشتعلت فيها الدعوة اليهودية إلى احتلال فلسطين وقيام إسرائيل بعد ذلك.

فكان الأمر إسهام من المؤلفين في نشر هذه الدعوى، ومؤازرة للمعتدين المغتصبين. ولا ادعى أنني أول من أثار هذا الموضوع الخطير، فقد نهض بذلك من أبناء أمتنا غيري، وسوف يتابع آخرون هذا العمل لتعرية الميطلين وكشف أكاذيبهم واطماغمهم. ومما يذكر من ذلك:

1- كتاب: «افتراءات كمال الصليبي»، وهو من تأليف الأستاذ محمد بن عبدالله الحميد، وهو من أبناء المملكة العربية السعودية الشقيقة، وقد كان له رد سخر به قلمه لتعرية أعداء بلاده وقومه. وقد استكمل الأستاذ الحميد عمله حين لجأ إلى أستاذنا الشيخ حمد الجاسر وهو – كما هو معروف – حجة في تاريخ الجزيرة العربية وتاريخها فحصل منه على ردود قاطعة ضمنها كتابه، وكان داحضة لكل أقوال الصليبي، مبيّنة لما فيها من خلل.

2- أما الكتاب الثاني فهو كتاب: «تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام»، وهو رد على كتاب إسرائيل ولغفنون، ألفه الأستاذ إسماعيل غريب الكيلاني، وتبع فيه كثيراً من الغلط والادعاءات الباطلة التي وردت في كتاب ولغفنون، وأضاف إليها أموراً بالغة الأهمية منها ما يلي:

1- يتحدث المؤلف في المقدمة عن جهود اليهود في تخريب حياتنا الثقافية، والتشكيك في ترثنا كله بما فيه من شعر ونثر. وذلك منذ آمد طول، وعلى الأخص حين أتت سنة 1925م ونشر اليهودي (مارجليوث) كتابه الذي لا يزال يطبع كل نقد، وفيه بداية الحديث عن قضية امتحان الشعر الجاهلي التي تبناها د.طه حسين، ودعا لها في كتابه: «الشعر الجاهلي»، وهو الكتاب الذي جوبه منذ صدوره بظورة قام بها عدد من العلماء الأديب في حينه حتى صدرت كتب كثيرة في الرد عليه، ووجه شيخنا الأستاذ محمود محمد شاكر من أجله إلى طه حسين رسالة حول هذه القضية – قضية الشعر الجاهلي ضمنها كتابه «المتنبي» فقال: «أسمع يا سيدي الدكتور، إنك لرجل كثير المغالطة، شديد اللد، غير مستقيم الرأي، مضطرب الفكر، متخلف النظر، وكان أصل كتاب المتنبي قد طبع في سنة 1936م.

ولا شك في أن أفكار د.طه حسين حول هذا الموضوع قد تغيرت في السنوات الأخيرة من حياته. وكان ما قاله شيخنا الأستاذ محمود شاكر في الزمن الذي رفع فيه طه حسين الراية التي رفعها من قبله مارجليوث الذي تحدثنا عنه آنفاً.

2- يعرض كتاب الكيلاني فيه المقدمة شهادة لرجل غربي هو ربرير الذي ألف كتاباً عنوانه: «تاريخ النشوء الفكري لأوروبا»، وقد ركز الأستاذ الكيلاني على ما ذكره ربرير في الفصل الثاني من المجلد الثاني للكتاب، وفيه حديث عن الأوضاع المزرية التي كانت عليها أوروبا مقارنة بما كان عليه العرب، ثم يقول: «ويتحدث بعد ذلك عن بعض ما منح العرب لأوروبا من الوان الحياة حتى عرفوهم معنى العيش، وما منحوا العلم من تقدم حمل أوروبا إلى ما تستمتع به اليوم، وما تفخر بأنها بنته، وما بنت شيئاً ولكنها نمت بحكم الاتصال والتدافع التسلسلي، وبدفع من عامل الزمن ما أخذته.

ويشير المؤلف إلى «فعود الأوروبيين على الجامعات الأندلسية لينهلوا من ينابيع العلم والمعرفة، وليتذوقوا الجمال»، ويقدم ما أمثلته لذلك: «جبر بيرت» الذي عبر من جامعة قرطبة – الكافرة في رأيهم – إلى كرسي البابوية في روما باسم «سيفلستر الثاني» (36/2).

ثم يبين أن العرب يخفرون بلغتهم، ويقول: «وهو الفخر الذي لا يلامون عليه»، «وأن شعرهم هو الذي أعطى أوروبا شعراء التروبادور، والطواقين المتغنين بالشعر»، «ومن هذا وجد الترفق، والنوق، والفروسيه، وآداب المجتمع الرائقة طريقاً من غرطاة وقرطبة إلى بروفانس ولانجيدوك» (34-37).

«وكان العرب هم مبدعي الثقافة في الشعر، ومدخلها على أشعار غيرهم». «والشعر العربي اللقي، وهو أهم ما يتعلق بنا، إذ إنه من الشعر البروفانسي وهو ابن اليهوديات العربية».

3- ويتحدث عن أساس النظرية التوسعية لدى إسرائيل، فيقول: «إنها تبدأ ما ورد في التوراة كما يقولون، ثم يواصل: «أن مبدأ الصهيونية يعتمد

هيا الله – عز وجل – لي الوسائل، فأصدرت قبل فترة وجيزة كتاباً جعلت عنوانه: «شمس الإسلام تشرق...»، وعان الله على طبعه فيسير له من الأفضل الذين عرفوا بمثل هذه المواقف من تولى الإنفاق على طبعه احتساباً لآجر، ولذا فقد حتمت على نفسي أن لا يعرض في مكتبات بيع الكتب وأن يوزع مجاناً لنه له رغبة في الإطلاع عليه.

لقد أضافت إلى تأليف هذا الكتاب عندما مرت بمجموعة من محلات بيع الكتب في الكويت، ورايت فيها كتباً تسيء إلى ديننا وتاريخنا، ويؤثر ما فيها على حاضرنا وعلى مستقبلنا، دون أن يشعر أصحاب هذه المكتبات بعظم الخطأ الذي يقومون به. ومن أمثال هذه الكتب التي يراها كل من يرتاد هذه المكتبات:

1- كتاب: «تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية والإسلام»، وهو من تأليف إسرائيل ولغفنون.

2- كتاب: التوراة جاءت من جزيرة العرب، تأليف: كمال الصليبي.

3- كتاب: الجزيرة العربية والتوراة من تأليف: جيمس آل مونتغمري.

وقد اقتنيت هذه الكتب وقرأتها تبعمن، ورددت على بعض ما جاء فيها من أمور لو نشر القليل منها في مقال بقراءه في إحدى صحف بلادنا لضج الناس احتجاجاً عليه.

ولن أكرر هنا ما ذكرته في الكتاب الذي أشرت إليه في بداية هذا الفصل، فما أريد مفصلاً هناك بما فيه الكفاية، وسيعرف القارئ منه ما يلي:

1- أن هذه الكتب وأمثالها لم تؤلف لأغراض علمية أو تثقيفية، وإنما ألفت لغرض يتكشف للمقارئ منذ الصفحات الأولى لأي كتاب منها، وهو مساندة إسرائيل في مواقفها ضد العرب خاصة والمسلمين عامة.

2- تتضمن الإلحاح على أن التوراة نزلت في جزيرة العرب، وأن هذه الجزيرة شهدت رسالة النبي الله موسى ﷺ، ومن المعروف أن التوراة قد نزلت على سيدنا موسى في طور سيناء، فهذا الذي قالوه كذب وافتراء محض.

3- التأكيد على أن اليهود كانوا يقيمون في الجزيرة العربية، مع إيهاب بان هذه الإقامة كانت في كل أنحاء، وأنهم قد أفسدوا الجنس العربي هناك وعموم، وكان قبل وصولهم بعيداً عن كل الأمور الحيوية التي تميز بها الشعوب الأخرى.

وهذا – وإن كان كتباً على التاريخ ومجراه – فإنه دليل على أنهم طارئون على المواقع التي نزلوا بها من هذه الجزيرة وقد جاءوا إلى هذه المواقع لسبب ذكرناه في الكتاب وهذا الأمر يجعلنا نتساءل: إذا كانت الجزيرة العربية مسكونة بأهلها أصلاً، ثم حلت في بعض أجزاءها أعداد محدودة من اليهود، فهل كان هناك انتظار لوصولهم هناك حتى تنزل التوراة في هذه الجزيرة؟ أم أنها نزلت بها قبل أن يأتي إليها اليهود، فأخذوا عندما حلوا بها، ولم يكونوا يعرفونها قبل ذلك؟ ولا ردّ على هذه التساؤلات: لأن الادعاءات الباطلة لا تستحق الرد عليها.

4- ومن الأغراض التي جرى تأليف هذا الكتاب لإلحاحه التأكيد على الادعاءات الباطلة التي يطلقها اليهود ومنها، ما ذكر عن المؤرخين العرب. فقد ذكر مؤلفنا أن هؤلاء المؤرخين العرب كانوا حريصين منذ البداية – على طمس كل ما أنجزه اليهود من أعمال، وما تركوه من آثار فكرية تميزت – على وجه الخصوص – في شعرهم الذي لم يهتم به أحد من العرب ولم يلتفت إليه وراة الشعر القديم، فلم يعدل ذكر إلا ما ورد من آيات قليلة ضمن قائل متناثرة لا تتفي للدلالة على مستواه الفني الباهر على قولهم وقد تضمن كتابي الرد على ذلك.

5- محاولة الإضفاء على الادعاءات الباطلة التي يطلقها لمنطقة واسعة من جزيرة العرب، بل وغيرها، بينما كان الواقع أنهم – فيما يتعلق بالجزيرة العربية – لم يكونوا فيها إلا أعداداً محدودة ومزعولة، وقد زال